التنازل عن الجودة

رجل يرعى مزارع الكروم في بيردريل بمدينة ميندوزا، الأرجنتين.

ناتالي شين ولوسيانا جوفينال

انهارت التجارة العالمية في أعقاب الأزمة المالية العالمية، وتراجعت بنسبة ٣٠٪ بالقيمة الاسمية بين الربع الثالث من عام ٢٠٠٨ والربع الثاني من عام ٢٠٠٩. وحتى بعد استبعاد تأثير التضخم، كان التراجع كبيرا حيث وصل إلى ١٨٪.

ووفقا لمقياس آخر، وهو نسبة التجارة العالمية إلى إجمالي الناتج المحلي، كان التراجع حادا بالمثل. ويرجع ذلك إلى أن الأزمة أثرت تأثيرا حادا على التجارة في السلع الاستهلاكية المعمرة والسلع الاستثمارية التي تمثل نسبة كبيرة من التجارة العالمية ونسبة صغيرة من إجمالي الناتج المحلي العالمي.

ولكن يبدو أن قيام المستهلكين بخفض مشترياتهم لم يكن السبب الوحيد وراء تراجع قيمة الواردات والصادرات العالمية. فبالتركيز على صادرات الأرجنتين من النبيذ، نعرض شواهد على تراجع القيمة الاسمية (قبل التضخم) للتجارة العالمية بسبب شراء المستهلكين لسلع أقل سعرا وأقل جودة بدلا من المنتجات الأعلى سعرا والأعلى جودة.

تداعيات الركود

عندما يتراجع الدخل يقل استهلاك الأسر، مثلما يحدث عادة خلال الأزمات أو حالات الركود. ونظرا لأن بعض استهلاك الأسر يتم استيراده من الخارج، يتراجع كذلك الطلب على المنتجات الأجنبية — أي على الواردات. غير أنه تجدر الإشارة إلى أن ترشيد الاستهلاك قد لا يؤثر على حجم استهلاك الأسر فحسب، بل على أنواع السلع التي يشترونها أيضا. وتحديدا، نظرا لأن استهلاك السلع الأعلى جودة أكثر تأثرا عموما بالتغيرات في الدخل مقارنة بالبنود الأقل جودة، فإن الانخفاض المفاجئ في الدخل (أي صدمة معاكسة في الدخل بلغة خبراء الاقتصاد) قد يؤدي إلى «التنازل عن القيمة»، أي أن الأسر في البلدان التي تشهد أزمات لا تكتفي بخفض كمية السلع التي يستهلكونها، بل تتنازل عن الجودة أيضا. ومن المفترض أن يؤدي ذلك بالتالي إلى انكماش أكثر حدة في الواردات الأعلى جودة منه في الواردات الأقل جودة. وننظر هنا فيما إذا كانت الأزمة المالية العالمية قد أدت إلى التنازل عن السلع التجارية ذات الجودة. وهذا هو ما حدث في حالة النبيذ المصنوع في الأرجنتين.

ومن الصعب قياس الجودة نظرا لعدم وجود مؤشر موحد قابل للمقارنة بين مختلف أنواع السلع. ولكننا توصلنا إلى وسيلة للتغلب على هذا العائق من خلال التركيز على صناعة النبيذ فقط حيث تقوم مجموعة معروفة من الخبراء بتقييم جودة المنتجات بصفة منتظمة. ونعتمد على هذا التقييم كمقياس جاهز للجودة ونمزج بينه وبين مجموعة من البيانات التي تخص منتجي الأرجنتين تتضمن معلومات عن الشركات وقيمة وحجم صادرات فرادى أنواع النبيذ موزعة حسب بلدان المقصد. وتوصلنا إلى وجود شواهد قوية على التنازل عن السلع ذات الجودة. كذلك تشير نتائجنا إلى أن التغير في جودة الصادرات يمكن أن يفسر ما يصل إلى ٩ نقاط مئوية من التراجع في قيمة التجارة في النبيذ الأرجنتيني خلال فترة الأزمة.

صادرات النبيذ الأرجنتيني تشير إلى تحول المستهلكين إلى السلع الأقل جودة عقب الأزمة المالية العالمية

أداء مبهر

منذ أوائل تسعينات القرن الماضي، شهدت صناعة النبيذ الأرجنتيني نموا مبهرا. وبحلول منتصف العقد الأول من القرن الحادي والعشرين أصبحت الأرجنتين خامس أكبر منتج للنبيذ وثامن أكبر مصدر للنبيذ على مستوى العالم. ولأغراض هذا

التحليل نستخدم بيانات الجمارك الأرجنتينية، حيث نجمع عن كل سلعة اسم الشركة المصدرة وبلد المقصد وتاريخ الشحن والقيمة (بالدولار الأمريكي) وحجم النبيذ المصدر (باللتر). ومجموعة البيانات كبيرة للغاية، نظرا لأننا نجمع عن كل نوع من أنواع النبيذ المصدر، الاسم (الاسم التجاري) ونوع العنب المستخدم (شاردونيه أو مالبيك)، ونوعه (أبيض أو أحمر أو وردي) وسنة الصنع. ولتقييم جودة فرادى أنواع النبيذ، نستخدم تقييمات مستمدة من مصدرين متخصصين معروفين، وهما مجلة «واين سبكتاتور» (*Wine Spectator*) والناقد روبرت م. باركر جونيور. والمصدران يقيمان جودة مختلف أنواع النبيذ باستخدام مقياس من ٥٠ إلى ١٠٠، وكلما ارتفع التقييم ارتفعت الجودة (راجع الجدول).

ونحدد تاريخ فترة انهيار التجارة من خلال مقارنة قيمة مجموع صادرات الأرجنتين وقيمة صادراتها من النبيذ من شهر لآخر (بالقيمة الاسمية للدولار الأمريكي، أو قبل استبعاد تأثير التضخم). وتراجعت الصادرات الإجمالية وصادرات النبيذ من مستوى الذروة الذي بلغته في سبتمبر ٢٠٠٨ حتى يناير ٢٠٠٩، ثم بدأت في التعافي ببطء حتى نهاية ٢٠٠٩. وقد حددنا تاريخ بداية الأزمة في أكتوبر ٢٠٠٨ ونهايتها بعد مرور عام في سبتمبر ٢٠٠٩ (راجع الرسم البياني).

التنازل عن الجودة مدفوعا في الأساس بالتراجع في الطلب الكلي نتيجة الأزمة.

ثم ننظر لاحقا فيما إذا كانت الصادرات الأعلى جودة أكثر تراجعا خلال الأزمة مقارنة بالصادرات الأقل جودة. وتوصلنا إلى أن صادرات النبيذ الأعلى جودة شهدت نموا أسرع خلال فترة ما قبل الأزمة مقارنة بصادرات المنتجات الأقل جودة، ولكن انعكس مسار هذا الاتجاه خلال الأزمة عندما تراجعت صادرات السلع الأعلى جودة تراجعا أكثر حدة مقارنة بصادرات النبيذ الأقل جودة. وفي المتوسط، فإن كل زيادة في مقياس الجودة بمقدار وحدة واحدة يقابلها تراجع بمقدار نقطتين مئويتين في نمو الصادرات خلال فترة الهبوط. كذلك توصلنا أيضا إلى أن انهيار القيمة الاسمية لصادرات النبيذ الأعلى جودة مدفوعا في الأساس بانخفاض الكميات المشحونة وليس بانخفاض الأسعار — مما يشير إلى أن الأزمة المالية وقع تأثيرها الأكبر على الاقتصاد الحقيقي. ونراعي في التحليل جميع أنواع الصدمات التي يمكن أن تؤثر على عرض النبيذ والطلب عليه، بدءا من الأوضاع الاقتصادية ككل التي يواجهها جميع مصدري النبيذ وانتهاء بالمشكلات التي تواجهها فرادى الشركات (مثل الإنتاجية وقيود الائتمان). ونراعي أيضا العوامل ذات الخصوصية القطرية في بلدان المقصد، مثل إجمالي الناتج المحلي وتدابير الحمائية وأسعار الصرف الثنائية.

تقييمات الخبراء

اثنان من أبرز خبراء تقييم جودة النبيذ، وهما مجلة *Wine Spectator* وروبرت م. باركر جونيور، يصنفان النبيذ وفق مقياس من ٥٠ إلى ١٠٠.

واين سبكتاتور		روبرت م. باركر	
٩٥–١٠٠	ممتاز	٩٦–١٠٠	استثنائي
٩٠–٩٤	فائق الجودة	٩٠–٩٥	فائق الجودة
٨٥–٨٩	جيد جدا	٨٠–٨٩	فوق المتوسط/جيد جدا
٨٠–٨٤	جيد	٧٠–٧٩	متوسط
٧٥–٧٩	عادي	٦٠–٦٩	دون المتوسط
٥٠–٧٤	لم يوص به	٥٠–٥٩	غير مقبول

المصدر: IMF, 2016.

تعطل النمو

ارتفع مجموع صادرات الأرجنتين وصادرات النبيذ ارتفاعا حادا بدءا من أوائل تسعينات القرن الماضي وحتى أواخر عام ٢٠٠٨. وبدأت في التعافي لاحقا في عام ٢٠٠٩.

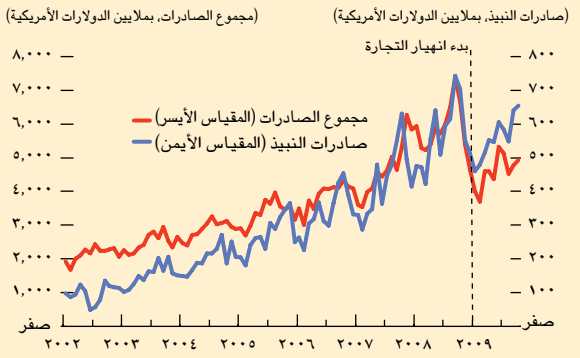

المصادر: تقرير الإحصاءات المالية الدولية الصادر عن صندوق النقد الدولي؛ ودراسة Nosis.

وتوجد تفاسير متنوعة لهذا الانخفاض الأكثر حدة في الصادرات الأعلى جودة. أولا، توصلنا إلى أن التنازل عن الجودة مدفوعا في الأساس بالتراجع في الطلب الكلي نتيجة الأزمة. وكانت صادرات النبيذ الأرجنتيني الأعلى جودة أكثر انخفاضا في بلدان المقصد الأكثر تأثرا بالأزمة، بما في ذلك الولايات المتحدة والمملكة المتحدة. وثانيا، توصلنا إلى شواهد على أن التنازل عن الجودة كان أكثر حدة في بلدان مثل فرنسا وإيطاليا حيث تستطيع الأسر إحلال النبيذ المنتج محليا محل المنتجات المستوردة. ووجدنا أيضا أن التنازل عن الجودة كان أكثر حدة بالنسبة لصادرات الشركات الأصغر حجما، التي عادة ما تكون شركات إنتاج متخصصة في النبيذ الأعلى جودة وتكون أكثر تأثرا بانخفاض دخل الأسر.

وأخيرا توصلنا إلى أن التعافي في نمو الصادرات في مرحلة ما بعد الأزمة كان أكبر في حالة النبيذ الأعلى جودة بمجرد بدء تعافي الاقتصاد العالمي من الركود. ويشير ذلك إلى أن تأثير الأزمة على التجارة كان مجرد تأثير وقتي.

سيناريوهات بديلة

لتقييم مدى تأثير الجودة على نمط صادرات النبيذ، نحلل أداء صادرات النبيذ الأرجنتيني خلال الأزمة وفق سيناريوهين مختلفين. ونفترض وفقا للسيناريو الأول ارتفاع جودة جميع صادرات النبيذ خلال الأزمة إلى أعلى مستوى في مجموعة البيانات المستخدمة (أي ٩٦). ووفقا للسيناريو الثاني، نفترض النقيض وهو تراجع جميع تقييمات النبيذ إلى أقل مستويات الجودة في العينة (٦٨). وهذان السيناريوهان المغايران للواقع يعكسان الحد الأعلى والحد الأدنى للأداء الافتراضي للتجارة خلال الأزمة نتيجة التغيرات في جودة الصادرات.

وقمنا بحساب القيم المتوقعة لنمو صادرات كل نوع من أنواع النبيذ تم شحنه لكل من بلدان المقصد وقارناها بالقيم المتوقعة المحسوبة وفق كل من السناريوهين. ووفقا للسيناريو الأول الذي يفترض ارتفاع جودة جميع أنواع النبيذ إلى ٩٦، تشير تقديراتنا إلى أن مجموع صادرات الأرجنتين كان لينخفض بنسبة ٣٨,٩٤٪، أي بما يزيد بمقدار ٢,٥ نقطة مئوية على قيمة الانخفاض الفعلي بنسبة ٣٦,٥٣٪. وفي المقابل، نجد في السيناريو الثاني أن الصادرات كانت لتنخفض بنسبة أقل كثيرا — ٣٠٪. وبالتالي يتوقع السيناريوهان العكسيان اختلافا في أداء الصادرات بمقدار ٩ نقاط مئوية تقريبا،

وهي نسبة ليست بالقليلة. ويتضح من ذلك أن الاختلاف في أداء التصدير بين البلدان المتخصصة في السلع عالية الجودة والبلدان المتخصصة في السلع منخفضة الجودة قد يكون كبيرا.

ورغم أننا توصلنا إلى شواهد على التنازل عن الجودة باستخدام بيانات السلع التجارية لفرادى الشركات، ينطوي التحليل على عدد من أوجه القصور مثله مثل أي دراسات تجريبية أخرى. أولا، نظرا لأننا نركز فقط على صادرات النبيذ الأرجنتيني، فإننا تحليلنا لا يراعي إمكانية تحول المستهلكين في البلدان المتأثرة بالأزمة من النبيذ المعتق الأعلى سعرا إلى النبيذ الأرجنتيني الأقل سعرا، وهو الأمر الذي كان من الممكن أن يحول في نهاية المطاف دون تراجع الصادرات الأرجنتينية بدرجة أكبر.

وثانيا، نظرا لأن تحليلنا يركز على قطاع محدد في بلد واحد، لا يمكننا التأكد من أن النتائج التي توصلنا إليها يمكن تعميمها على نطاق أوسع. ولكن توجد بعض الدراسات التي توصلت إلى نتائج مماثلة لنتائجنا باستخدام مجموعات بيانات ومنهجيات مختلفة (مثل دراسة Bems and di Giovanni، وشيكة الإصدار، ودراسة Burstein, Eichenbaum, and Rebelo, 2005). ويتضح من ذلك أن نتائجنا قد تنطبق على الأرجح على صناعات وبلدان أخرى، ويمكن في هذه الحالة الخروج من دراستنا بعدد من الانعكاسات الاقتصادية الكلية المبدئية.

أولا، يتضح من تحليلنا أن تكوين التجارة يؤثر على كيفية استجابة التدفقات التجارية لفترات الهبوط الاقتصادي، وهو بذلك يساعد صناع السياسات وخبراء الاقتصاد على فهم الأداء المحتمل لصادرات مختلف البلدان خلال فترات الركود. وتحديدا، نظرا لأن البلدان الأغنى عادة ما تنتج منتجات أعلى جودة، يمكن أن تؤثر فترات الركود تأثيرا حادا على صادرات هذه البلدان (تشير دراسة Berthou and Emlinger, 2010 إلى أن البلدان المتخصصة في السلع الأعلى جودة تشهد خسائر تجارية أكبر خلال فترات الاضطرابات العالمية). ثانيا، فاق تأثير الأزمة على حجم شحنات النبيذ تأثيرها على أسعار السلع التجارية، مما يشير إلى التأثير الضخم للأزمات المالية على الاقتصاد الحقيقي. وأخيرا، ينطوي بحثنا على انعكاسات بالنسبة لفهم الآثار التوزيعية للأزمات: فالتنازل عن الجودة بسبب صدمات الدخل السلبي قد يؤدي إلى تقويض رفاه المستهلكين. وتحديدا، إذا كان العملاء يميلون إلى التنوع وإلى الجودة أيضا، يؤدي تراجع جودة المنتجات المستهلكة إلى تراجع الرفاه. ■

ناتالي شين أستاذ اقتصاد مساعد في جامعة وارويك وأستاذ زائر في معهد صندوق النقد الدولي لتنمية القدرات. ولوسيانا جوفينال اقتصادي بمعهد صندوق النقد الدولي لتنمية القدرات.

يستند هذا المقال إلى ورقة عمل أعدها المؤلفان بعنوان: *IMF Working Paper, No. 16/30, "Quality and the Great Trade Collapse".*

المراجع:

Bems, Rudolfs, and Julian di Giovanni, forthcoming, "Income-Induced Expenditure Switching," American Economic Review.

Berthou, Antoine, and Charlotte Emlinger, 2010, "Crises and the Collapse of World Trade: The Shift to Lower Quality," CEPII Working Paper 2010–07 (Paris: Centre d'Etudes Prospectives et d'Informations Internationales).

Burstein, Ariel, Martin Eichenbaum, and Sergio Rebelo, 2005, "Large Devaluations and the Real Exchange Rate," Journal of Political Economy, *Vol. 113, No. 4, pp. 742–84.*

السمع يمكن أن يخبرنا بأمور كثيرة عن العالم من حولنا

يمكنكم الاستماع إلى **ملفات البث الصوتي** من **صندوق النقد الدولي** التي تقدم نخبة من **ألمع العقول** في مجال **الاقتصاد والتنمية**

تجدونها على الموقع الإلكتروني **IMF.org** أو عبر التطبيق المفضل لديكم للبث الصوتي.